

## الوحدة الخامسة

### الطابع القومي

#### د/ محسن لطفي أحمد

يعد مفهوم الطابع القومي من أقدم المفاهيم في المجتمع الإنساني، وقد استخدمه عديد من المؤرخين في وصف الناس في مجتمعات مختلفة؛ بأن يطلقوا عليهم صفات معينة مثل "الشجاعة، الإخلاص، الكرم، البخل..... الخ".

وقد كان وصف الناس فيما مضى أمرا سهلا نظرا لصغر حجم المجتمعات وإمكانية ملاحظتهم، إلا أن الحال اختلف بالنسبة للمجتمعات الحالية نظرا للزيادة السكانية، ولظهور عديد من المتغيرات التكنولوجية والاقتصادية والتعليمية والثقافية.. الخ.

ويعد كتاب الأنثروبولوجية "بندكت" Bendekt والموسوم بـ "أنماط الحضارة" بمثابة الميلاد العلمي لموضوع الطابع القومي، ومن ثم يعد موضوع الطابع القومي مستمد أساسا من الأنثروبولوجيا الحضارية؛ وهو علم يهتم بدراسة العادات المشتركة بين الناس داخل المجتمع؛ إلا أن محاولات الأنثروبولوجيين في تفسير نظرياتهم استندت إلى الأسس والمبادئ السيكلوجية (النفسية)، وهو ما جعل موضوع الطابع القومي أحد اهتمامات علم النفس الاجتماعي.

#### • بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم الطابع القومي

##### ١. الشخصية المنوالية:

وهو مفهوم ظهر عام ١٩٣٠ عندما بدأ الاهتمام الجاد بالناحية التجريبية في علم النفس، وكان عنوانا لدراسات تهتم بالكشف عن الخصائص المشتركة للشخصية في المجتمع من خلال سلوك الأفراد ومعتقداتهم وطرق معيشتهم.

##### ٢. العادة:

وهو مفهوم ظهر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وكان عنوانا لدراسات تهتم بالسلوك الشائع "العادات" باعتباره أمرا يعكس الطابع القومي، وقد تطورت الدراسات الخاصة بالعادات إلى حد محاولة بحث دور الوراثة والبيئة في نشأة العادات.

##### ٣. الدوافع:

وهو مفهوم يرتبط ارتباطا وثيقا بالطابع القومي على اعتبار أن الدوافع لدى جميع الأفراد عامة ومشتركة، غير أن طريقة إشباعها تختلف من فرد إلى آخر، وغالبا ما تؤدي الدوافع المشتركة بين أعضاء المجتمع إلى نوع من السلوك المشترك.

## • طرق دراسة الطابع القومي

يذهب عديد من الباحثين إلى أن هناك أربع طرق رئيسة لدراسة الطابع القومي هي:

### ١. طريقة دراسة الثقافة ككل:

ويستخدم هذه الطريقة الأنثروبولوجيون، والأطباء العقليون، والمحللون النفسيون، ويقوم الأنثروبولوجيون بتطبيق طريقتهم المتبعة في دراسة المجتمعات البدائية، أما الأطباء العقليون فيقومون بتشخيص الاضطرابات لدى حالات فردية ويعممون النتائج على الجماعات، أما المحللون النفسيون فيطبقوا الطريقة التحليلية النفسية على المجتمعات عن طريق الرجوع إلى وسائل التدريب على التنشئة وأثرها على الشخصية.

وقد خرجت هذه الدراسات بنتائج عديدة عن المجتمعات المختلفة؛ فعلى سبيل المثال خرجت دراسة على المجتمع الأمريكي بأنه نظرا لأن التعليم في المدارس العليا يتم على أيدي مدرسات فإن الفرد ينشأ متأثرا بميول أنثوية.. كما خرجت دراسة أجريت على المجتمع الروسي بأن ما يلقاه الروس في الطفولة من تقييد لحرياتهم هو المسئول عن كثير من مظاهر السلوك التي تبدو غامضة لديهم.. وفي دراسة للمحللين النفسيين أجريت على المجتمع الألماني باستخدام التشخيص لحالات فردية وجدوا أن طابع الثقافة الألمانية إضطهادي.

### ٢. الطريقة الجزئية:

وهي عبارة عن دراسة لقطاع أو جانب من جوانب الحياة في مجتمع من المجتمعات، أو طبقة من الطبقات في مجتمع معين، وتستخدم هذه الطريقة في المجتمعات المتطورة والمعقدة لتفادي الجهد والوقت والامكانيات المادية والبشرية، ومن أهم الجوانب التي تستخدم في دراسة الطابع القومي:

#### أ. الأساطير والنكات والحكايات الشعبية:

وهي من المصادر الأساسية في دراسة الطابع القومي؛ حيث يتم تحليل هذه المتغيرات التي تعد صورا للأفعال التي تصدر من الأشخاص في مجتمع معين.

#### ب. أساليب التنشئة:

حيث تعد أساليب التربية والتنشئة الاجتماعية والاحباطات التي يواجهها الأطفال؛ مصدرا هاما لدراسة الطابع القومي إذ تكشف هذه المصادر عن جوانب عامة مشتركة في شخصيات البالغين.

#### ج. المؤرخون:

تعد دراسات المؤرخين من المصادر التي تكشف عن الكثير مما يسمى بالطابع القومي لشعب من الشعوب، غير أن نتائج هذه الدراسات لابد وأن تؤخذ بحذر نظرا لأنه ينقصها الإحتكاك المباشر، والملاحظة، فضلا عن اعتماد معظمها على الوثائق التاريخية.

#### د. الأفلام السينمائية:

وهي مادة قيمة لدراسة الطابع القومي لشعب من الشعوب؛ حيث تعكس هذه الأفلام سواء أكانت سينمائية أو تلفزيونية كثيرا من الجوانب التي تميز مجتمع من المجتمعات أو ثقافة معينة داخل أحد المجتمعات.

#### هـ. الأعمال الفنية التشكيلية:

يعد تحليل الأعمال الفنية التشكيلية مثله مثل تحليل الأفلام السينمائية والتلفزيونية، حيث يوفر وصفا لحالة معينة تسود مجتمع من المجتمعات.

#### و. الأعمال الموسيقية:

تعتبر الموسيقى خلال العصور المختلفة عن أحاسيس الناس وآمال الشعوب، فأى شخص يستطيع من خلال التعرض لموسيقى خاصة بمجتمع من المجتمعات ان يكشف عن الكثير من الجوانب الشخصية لهذا المجتمع.

### ٣. طريقة دراسة الخصائص القومية والاختلافات الفردية:

ويستخدم في هذه الطريقة استبانات الرأي العام والاختبارات الإسقاطية، بأن تطبيق على عينات من مختلف الدول، وتقارن النتائج لمعرفة ما إذا كانت هناك فروقا قومية في عديد من المتغيرات.

### ٤. طريقة دراسة الثقافة عن بعد:

وهي طريقة غالبا ما يلجأ إليها في حالة الحروب، وخاصة الحروب الباردة؛ كنوع من الاستفادة العملية من دراسة الطابع القومي، فعلى سبيل المثال قامت الولايات المتحدة الأمريكية بجمع بيانات من جهات مختلفة ومن متخصصين عدة عن المجتمع الياباني والألماني، وهو منهج يستخدم الآن لدراسة المجتمعات التي يصعب الوصول إليها.

